بحث في وجوب محبة الله تعالى

تأليف

الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني

المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ

اعتنى به وخرج أحاديثه

أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام عَلَى سيد المرسلين، وآله الأكرمين.

اعلم أن محبة الله ﷻ، هي من أعظم الفرائض المفترضة عَلَى العباد، كما يدل عَلَى ذلك آيات الكتاب المبين، وأحاديث سيد المرسلين، وإجماع المسلمين أجمعين. فمن ذلك قول الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد علم أن اتباع رسول الله ﷺ فرض واجب لا خلاف فيه، فكانت هذه المحبة لله سبحانه دخل فِي الفرضية، لتعليق الاتباع بِهَا، وجعله متسببًا عنها مَعَ ما فِي ذلك من التهييج للعبـــادة عَلَى الأتباع بما هو مطلوب، لكل فرد من أفرادهم، ومقصد من مقاصدهم، عامتهم وخاصتهم، فإن دخول العبد فِي زمرة المحبين لله ﷻ، هو الذي يتنافس فيه المتنافسون، ويتسابق إليه المتسابقون. فإذا سَمِعَ السامع أن هذا الاتباع لرسول الله ﷺ هو مهيع[1] من يحب الله وعمل من يتصف بذلك سعى إليه، وبادر به، وتابع فِي تحصيله بكل مُمكن.

والحاصل: أن فِي هذا النظم القرآني دلالة بينة عَلَى أن اتباع رسول الله ﷺ متسبب عن مَحبة العبد لله، وفرع من فروعها، وأنه سبب لِمحبة الله ﷻ للعبد، ومن أحب الله، وأحبه الله فقد ظفر بالغاية القصوى، ووصل إلى المقصد الأسنى الذي هو أعلى مطالب الطالبين، ونهاية رغبات الراغبين، وكل العبادات والأعمال الصالحات، إنما هي للتوصل بِهَا إلى هذه الْمَحَبَّة التي يكون بِهَا حصول الفلاح والنجاح، والفوز بكل محبوب، والنجاة من كُل مكروه.

ومن الآيات القرآنية الدالة عَلَى فرضية محبة العبد لربه، قوله ﷻ: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) المهيَعُ: للطريق الواسع الواضح. القاموس المحيط (ص٩٨٨).

فهذا الوعيد المذكور في آخره من الآية بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ مع قوله ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قد دل أبلغ دلالة، عَلَى أن محبة العبد لله ﷻ فرض من أعظم الفرائض الدينية ولاسيما بعد ذكره لما هو غاية ما يحب في الدنيا من الأشخاص الذين هُمْ:

الآباء، والأبناء والإخوان، والأزواج، والعشائر، فإن هؤلاء، هُمْ الذين تحصل المحبة لَهُم، وضم إلى ذلك، الأموال، والمساكن، وما هو أعظم أسباب الكسب، وهو التجارة، لصدقها عَلَى غالب المكاسب التي يتكسب العباد بهَا، ويحصلــون الأرزاق منها، ومعلوم أن الله لا يتوعد بالعذاب، ويشير إلى أن من لم يقم بما توعد عليه، فهو من القوم الفاسقين المحرومين للهداية الربانية والعناية الإلهية، إلا عَلَى فرض لازم، وواجب محتم، ولهذا كَانَ رسول الله ﷺ يستكثر من سؤال الله سبحانه حصول هذه المحبة له كما أخرجه أَحْمَد[1] والترمذي[2] والحاكم[3] وصححاه من حديث معاذ بن جبل وفيه «**أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك**» فوقع منه السؤال ﷺ لِحب الله، وحب ما هو وسيلة إليه، وحب من حصل له هذا الحب.

وأخرج نَحوه البزار[4]، والطبراني، والحاكم[5] من حديث ثوبان، وأخرجه أيضًا البزار من حديث ابن عُمَر، وأخرجه أيضًا الترمذي[6] والحاكم[7] من حديث أبي الدرداء، وفي آخره بعد ذكر ما في حديث معاذ، ما لفظه: «**اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي ومن الماء البارد**»، وحسنه الترمذي، وأخرج الترمذي[8] في دعائه. «**اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك**».

---

(١) في مسنده: (٥/٢٤٣).
(٢) في سننه: (٥/٣٦٨) برقم ٣٢٣٥.
(٣) في مستدركه: (١/٥٢١).
(٤) في كشف الأستار: (٤/٦٠) (برقم ٣١٧٩).
(٥) في المستدرك: (١/٥٢٧).
(٦) في سننه: (٥/٥٢٢) (برقم ٣٤٩٠).
(٧) في مستدركه: (٢/٤٣٣).
(٨) في سننه: (٥/٥٢٣) (برقم ٣٤٩١).

وفي الباب أحاديث وآثار بهذا المعنى عن جماعة من الصحابة.

ومن الأدلة المرشدة إلى افتراض محبة الله ﷻ، وما ورد في الأحاديث الصحيحة من التحاب في الله، فإن التحاب في الله ﷻ هو من محبة الله سبحانه، ومنها: الحديث الصحيح[(١)]: «**إنَّ المتحابين في الله عَلَى منابر من نور يوم القيامة**»، ومنها: حديث: «**إنَّ العبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله**» وهو حديث صحيح. وأخرج أحْمَد[(٢)] والترمذي[(٣)] من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال: «**من أعطى لله ومنع لله، وأبغض لله، وأحب لله، فقد استكمل إيمانه**».

وواجب عَلَى العبد أن يطلب ما يكمل به إيمانه. وأخرجه أيضًا أبو داود[(٤)] من حديث أبي أمامة. وأخرج أحْمَد[(٥)] من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قَالَ: «**إنَّ أوثق عرى الإيمان، أن يحب في الله ويبغض في الله.**». وفي الباب أحاديث كثيرة، وآثار عن الصحابة واسعة.

وفي صحيح البخاري[(٦)] وغيره أن رجلاً كَانَ يؤتى به إلى النبي ﷺ قد شرب الخمر، فقال رجل: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟!

فقال رسول الله ﷺ: «**لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله**»، فجعل العلة المقتضية[(٧)] للمنع من سبه، كونه يحب الله ورسوله مَعَ ارتكابه لذلك المحرم المجمع عليه، والمعصية الشديدة. وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «**أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي**». ومن أعظم ما ينبه عَلَى افتراض هذه المحبة قوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]. الآية، فتوعد المرتدين عن الدين بأنه سيأتي بقوم

---

(١) في سنن الترمذي: (٤/٥٩٧) (برقم ٢٣٩٠).

(٢) في مسنده: (٣/٤٣٨، ٤٤٠).

(٣) في سننه: (٤/٦٧٠) (برقم ٢٥٢١).

(٤) في السنن: (٥/٦٠) (برقم ٤٦٨١).

(٥) في المسند: (٤/٢٨٦).

(٦) رواه البخاري: (١٢/٧٥) (برقم ٦٧٨٠).

(٧) غير صحيحة إملائيًا في الأصل.

هذه صفتهم، أفاد ذلك أن هذا الوصف أشرف الأوصاف، وأعلى ما تتسبب عنه الخيرات.

ومن أعظم البواعث عَلَى محبة الله ﷻ، أنه يحصل بها[(١)] المحبة من الله ﷻ للعبد والمغفرة لذنوبه كما تقدم في قوله: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]، ومن أحبه الله ﷻ أعطاه ما لم يكن له في حساب، كما فِي الحديث الثابت فِي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «**يقول الله ﷻ: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره به، ويده التي يبطش بهَا، ورجله التي يمشي بهَا، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**[(٢)]»[(٣)].

وقد روي هذا المعنى من حديث جماعة من الصحابة[(٤)]. وأخرج ابن ماجة[(٥)] من رواية موسى بن عبيد عن سعيد المقبري، عن الأدرع السلمي قَالَ: «كَانَ رجل يقرأ قراءة عالية، فمات بالمدينة، فحملوا نعشه، فقال النبي ﷺ: **ارفقوا به رفق الله به، إنه كَانَ يحب الله ورسوله**، قَالَ: وحضر حفرته فقال: **أوسعوا له وسع الله عليه** قَالَ: **أجل إنه كَانَ يحب الله ورسوله**».

وفي الصحيحين[(٦)] وغيرهما من حديث أنس، أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قَالَ: «**ما أعددت لَهَا؟**» قَالَ: ما أعددت لَهَا من كثير صلاة، ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال رسول اله ﷺ: «**فأنت مَعَ من أحببت**».

---

(١) فِي الأصل: (لَهَا).

(٢) رواه البخاري: (١١/٣٤٠) (برقم ٦٥٠٢).

(٣) للإمام الشوكاني فِي شرح عَلَى هذا الحديث ويسمى (قطر الولي عَلَى حديث الولي). فانظره.

(٤) انظر ذلك فِي: مجمع الزوائد للهيثمي (٢/٢٤٧- ٢٤٨).

(٥) فِي السنن: (١/٤٩٧) (برقم ١٥٥٩).

(٦) فِي البخاري: (١٠/٥٥٧ برقم ٦١٧١)، ومسلم: (٤/٢٠٣٣) (برقم ٢٦٣٩/١٦٤).

وفي روايــة للبخاري: «قلنـــا: ونَحن كذلك؟ قَالَ: نعم. ففرحنا يومئذٍ بذلك فرحًا شديدًا»[١].

وفي رواية لمسلم: قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قوله: «**أنت مَعَ من أحببت**»[٢].

وأخرج البزار[٣] في مسنده من حديث أبي سعيد عن النبيﷺ قال: «**إني لأعرف ناسًا، ما هم بأنبياء، ولا شهداء، تغبطهم الأنبياء والشهداء على منزلتهم عند الله يوم القيامة؛ الذين يحبون الله ويحببونه إلى خلقه، يأمرونهم بطاعة الله، فإذا أطاعوا الله أحبهم الله**». انتهى

❁ ❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري: (١٠/٥٥٣) (برقم ٦١٦٧).
(٢) رواه مسلم: (٤/٢٠٣٢) (برقم ١٦٣/٢٦٣٩).
(٣) انظره: (١/٨٥) (برقم ١٤٠ -كشف الأستار).